



## + آباؤنا القديسون

### العذراء مريم

"إن والدة الإله التي لا تغفل في الشفاعات، والرجاء غير المردود في النجدة، لم يضبطها قبر ولا موت، لكن بما أنها أم الحياة نقلها إلى الحياة الذي حلّ في مستودعها الدائم البتولية " (قنفاق عيد رقاد السيّدة ).

تعيّد الكنيسة المقدسة في الخامس عشر من آب لعيد رقاد والدة الإله الدائمة البتولية مريم. لم يذكر الكتاب المقدس شيئاً عن رقاد العذراء، لكن التقليد تحدّث عن موتها وانتقالها بالجسد إلى السماء بعد ثلاثة أيام من موتها لتكون إلى جانب ابنها في الملكوت، فيكون قد تحقق معها، منذ لحظة موتها، ما سيحصل في اليوم الأخير لكل مؤمن أمين للرب، أي أنها نالت منذ الآن ما سيناله المؤمنون يوم الدينونة. تحققت غاية التجسّد فيها: "صار الإله إنساناً لكي يصير الإنسان أهلاً".

أيقونة العيد توضح العيد: مريم في الوسط على فراش الموت يحيط بها الرسل الذين جمعهم الروح القدس من أقطار المسكونة، كذلك أساقفة الكنيسة الجامعة ساجدين حولها، والرب يسوع حاملاً بيديه طفلاً يمثّل روح مريم المولودة الآن في السماء. لم يستطع القبر أن يضبط من "بغير فساد ولدت كلمة الله"، فصارت صورة لنا عندما سنقف بأجسادنا الروحانية أمام الله.

بعد حبل مريم بالرب يسوع وزيارتها لأليصابات التي باركت ثمرة بطنها قالت مريم: تعظم نفسي الرب فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوّبني " (لوقا ١: ٤٦ و٤٨). وبالفعل فإن الكنيسة ما فتئت منذ ألفي عام تكرم العذراء مريم وتمدحها "بحسب الواجب"، وتعتبرها مثال كل المسيحين، النموذج الذي سنصيره في المسيح. لقد كانت مريم طاهرة حقاً وطائعة لله دون حدود. التقليد المسيحي يشدد على كونها بقيت عذراء طيلة حياتها، وأنها بتول قبل الولادة وأثناء الولادة. فهي ذلك الباب المغلق المتجه نحو المشارق الذي "لا يُفتح ولا يدخل منه رجل لأن الرب إله إسرائيل قد دخل منه فيكون مغلقاً" (حزقيال ٤٤: ٢). لذلك نرى في كل أيقونات العذراء ثلاث نجوم واحدة على جبينها وواحدة على كل كتف للدلالة على بتوليتها قبل الولادة وأثناء الولادة وبعدها. قد يتزوج المسيحي لكنه يحاول السير على خطى طهارة مريم وتكريس النفس بالكامل لله.

تربت مريم في الهيكل بعدما قدّمها إلى الهيكل والداها يواكيم وحنة. رُبيت على طاعة الله فأطاعته حتى النهاية، وبسبب طاعتها لله وقبولها بشرى الملاك جبرائيل، حصل الخلاص للجنس البشري. لقد قالت البشرية لله "



## + آباؤنا القديسون

نعم " بشخص مريم. صارت مريم مثالنا إذ كانت أول من قبل يسوع المسيح. وكما حملت المسيح جسدياً في أحشائها، هكذا يستطيع كل المسيحيين أن يحملوا المسيح روحياً في داخلهم.

تكريم العذراء يوضح أيضاً نظرنا الى شخص يسوع. نقول في صلاة النوم " بمولدك اتحد كلمة الله بالبشر، وطبيعة جنسنا المقصاة أقرتها مع السماويين ". في مريم تمّ أولاً الاتحاد بين الله والإنسان. هكذا وعت الكنيسة منذ البدء أهمية العذراء وأطلقت عليها لقب " والدة الإله ". هذا اللقب يعني ان ابنها إنسان كامل وإله كامل. إن مريم، بصفتها أم الإله البشرية، كانت مصدر طبيعته البشرية، علماً أن الذي حملته في أحشائها هو الإله الأزلي: " من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي " (لوقا ١: ٤٣).

يكرّم المسيحيون مريم بسبب شخصيتها وخصوصاً دورها الأساسي في تدبير الله الخلاصي، ويضعونها على رأس لائحة القديسين، بل يعتبرونها " أكرم من الشاروويم وارفح مجدداً بغير قياس من السيرافيم " و"أسمى رفعة من جميع المخلوقات". لقد قال الملاك جبرائيل للعذراء: " سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت في النساء " (لوقا ١: ٢٨). فالله كرم مريم. ونحن في طاعتنا لله نكرم العذراء لما لها من دور مهم في خلاصنا. لذلك رسمت الأيقونات ورُتبت الأعياد والصلوات لمديحتها وتكريمها. نذكر أن الأيقونات الأرثوذكسية لا تصوّر والدة الإله بمفردها بل دائماً حاملة الطفل الإلهي. عظمة مريم هي من عظمة يسوع، وعندما نسجد أمام أيقونة العذراء فنحن لا نسجد سجوداً عبادياً للعذراء إنما سجوداً إكرامياً لها لأن العبادة واجبة الله وحده.

يبقى أن مريم هي شفيعتنا أمام الرب يسوع لأن " وسائل الأم تقتدر في فعلها كثيراً لدى السيد. " عندما ولدت الرب يسوع وأعطته بشريننا، صارت أمنا أيضاً. هي والدة كل من آمن بيسوع وصار تلميذاً له. نرتل في صلاة البراكليسي (التضرع للعذراء): " ليس أحد يسارع محاضراً إليك ويمضي من قبلك أيتها البتول النقية أم الإله، لكن نعمة فينال الموهبة بحسب ما يوافق طلبته ". النعمة التي تطلبها لنا العذراء بنوع خاص هي أن يتصور ابنها فينا حتى نحمله نحن في كياننا كما حملته هي وتتحده به كما اتحدت هي به.